# اتحاد جنوب أفريقيا ودوره فى الاستيطان الصهيونى

## فى فلسطين ( ١٩١٧ -١٩٤٨ )

الأستاذ. بدوى رياض عبد السميع

مدرس مساعد بقسم التاريخ

معهد البحوث والدراسات الأفريقية

جامعة القاهرة

**المستخلص:**

تتناول هذه الدراسة دور اتحاد جنوب أفريقيا فى الاستيطان الصهيونى فى فلسطين منذ صدور وعد بلفور عام ١٩١٧، وحتى قيام دولة الكيان الصهيونى على أرض فلسطين عام ١٩٤٨. وتعرض الدراسة فى خمسة مباحث لجهود الاتحاد فى إصدار وعد بلفور عام ١٩١٧، الذى أسس لإنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، من خلال رئيس وزرائه الجنرال سمتس، الذى كان عضواً فى وزارة الحرب البريطانية. ثم جهود الاتحاد فى فترة ما بين الحربين العالميتين، وتدفق الأموال من يهود اتحاد جنوب أفريقيا إلى فلسطين لإنشاء المستوطنات اليهودية.

ويعرض البحث كذلك لمساندة الاتحاد لفكرة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود فى الأمم المتحدة، والتى كان لوفد الاتحاد دور كبير فيها. وأخيراً توجت هذه الجهود باعتراف الاتحاد بقيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين العربية فى ٢٤ مايو ١٩٤٨.

**الكلمات الدالة:** *اتحاد جنوب أفريقيا – فلسطين – إسرائيل – سمتس – وايزمان – الاستيطان الصهيونى.*

## Abstract:

This study handles the role of the Union of South Africa in the Zionist settlement in Palestine from the issuance of the Balfour Declaration in 1917, to setting up the Zionist State on the land of Palestine in 1948.

The study shows the efforts of the Union in the issuance of the Balfour Declaration in 1917, which led to create a Jewish national home in Palestine, through his prime minister, Gen. Smuts, who was a member of the British Ministry of War.Then Union's efforts in interwar period, and the flow of funds from the Union of South Africa's Jews to Palestine to establish Jewish settlements.

And the study also displays the support of the Union for the idea of the partition of Palestine between Arabs and Jews in the United Nations, which the Union delegation had a great role in it. Finally, these efforts were crowned with the Union's recognition of the establishment of Israel State on the Arab land of Palestine in the May 24, 1948.

**Descriptors:** *Union of South Africa – Palestine – Israel – Smuts – Weizmann - Zionist settlement.*

**الاستشهاد المرجعي:**

عبد السميع، بدوى رياض(٢٠١٤). اتحاد جنوب أفريقيا ودوره فى الاستيطان الصهيونى فى فلسطين (١٩١٧-١٩٤٨). ــ حولية كلية الآداب . جامعة بنى سويف . ــ مج ٣ (٢٠١٤) . ــ ص ص ٣١٧ : ٤٣٨.

## مدخل:

لعب اتحاد جنوب أفريقيا[١] دوراً مهمًا فى دعم ومساندة القضية الصهيونية والاستيطان الصهيونى فى فلسطين، على بعد المسافة المكانية بينهما بمقاييس تلك الفترة، وذلك عبر فترة طويلة امتدت منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى وصدور وعد بلفور المشئوم وإلى قيام دولة الكيان الصهيونى على أرض فلسطين المحتلة، من خلال الرجل السياسى الأول فى الاتحاد وهو الجنرال سمتس[٢] Smuts. ولما لا وقد كان سمتس قائداً للقوات البريطانية على جبهة فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى، كما شاركت فرقة من مدفعية الميدان الجنوب أفريقية South African Field Artillery فى القتال هناك على تلك الجبهة[٣].

وتأتى **أهمية هذا البحث** من أهمية القضية التى يطرحها وهى الارتباط والتعاون بين الكيانات العنصرية، للمحافظة على وجودها من ناحية وتحقيق المصالح الغربية من ناحية أخرى. كذلك، استندت العنصرية البيضاء فى جنوب أفريقيا والصهيونية فى فلسطين إلى أيديولوجية مشتركة مفادها سيطرة مطلقة على الأرض والثروة، وعززتها باستخدام القوة العسكرية، وبررتها بنظرية الشعب المختار ونظرية النقاء العنصرى. أضف إلى ذلك، ما لاحظه من أهمية الدور الذى قام به الاتحاد فى الاستيطان الصهيونى فى فلسطين، ودوره كذلك فى قيام دولة الكيان الصهيونى فى الجسد العربى، على الرغم من البون الشاسع بين فلسطين وجنوب أفريقيا بمعايير البُعد الجغرافى والمسافة المكانية.

أما **الفترة الزمنية** للبحث فتقع بين عامى ١٩١٧، وهو العام الذى صدر فيه وعد بلفور المشئوم لإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين؛ حيث كان للاتحاد دور مهم فى ذلك. أما عام ١٩٤٨، فهو العام الذى شهد قيام دولة إسرائيل رسمياً على أرض فلسطين.

ونحاول أن نرصد ملامح الدور الذى قام به اتحاد جنوب أفريقيا فى الاستيطان الصهيونى فى فلسطين، وصولاً إلى قيام الدولة العبرية، من خلال النقاط التالية:

## أولاً- اتحاد جنوب أفريقيا ودوره فى إصدار وعد بلفور عام ١٩١٧:

ارتبط المصير السياسى لاتحاد جنوب أفريقيا والاستيطان الصهيونى فى فلسطين ببريطانيا؛ ذلك أن ذات الحفنة نفسها من السياسيين هى التى قررت المستقبل السياسى لكل من جنوب أفريقيا وفلسطين: فاللورد ميلنر[٤] Lord Milner الذى كان مندوبًا ساميًا فى جنوب أفريقيا عام ١٩٠٣، وديفيد لويد جورج[٥] David Lloyd George، واللورد بلفور[٦] Lord Balfour، وجوزيف تشمبرلين(١٨٣٦-١٩١٤) Joseph Chamberlain، والجنرال سمتس أسهموا فى ولادة اتحاد جنوب أفريقيا فى عام ١٩١٠، وفى ولادة وعد بلفور عام ١٩١٧. وقد كان سمتس قاسمًا مشتركًا بين هؤلاء وأولئك، فلولاه لانهار الاتحاد الذى قام عام ١٩١٠، ولولا مساعدته لحاييم وايزمان[٧] Chaim Weizmann، الزعيم الصهيونى وأول رئيس لدولة إسرائيل، لما كان تصريح بلفور[٨].

وفى كلتا الحالتين كانت الفكرة هى تركيز السلطة فى أيدى هؤلاء الذين "يفكرون مثلنا"، كما عبر بلفور[٩]. لذا وُضعت أكثرية أفريقية تحت سيطرة أقلية من السادة البيض فى اتحاد جنوب أفريقيا، وتُركت أكثرية عربية لأقلية أوروبية –المنظمة الصهيونية- فى فلسطين. وكان الأساس المنطقى –جعل عدم المساواة شرعية- كما وضّحه بلفور، هو، "لا تستطيع أن تعطى السكان الوطنيين فى جنوب أفريقيا حقوقًا متساوية مع البيض دون تهديد البنية الكاملة للمدنية البيضاء". أو كما لاحظ اللورد كيرزون Lord Curzon لبلفور بعيد نشر وعد بلفور فيما يتعلق بالأهداف الحقيقية لوايزمان فى فلسطين:

"إنه يفكر بدولة يهودية، بأمة يهودية، وبسكان خاضعين من العرب يحكمهم اليهود، وبامتلاك اليهود للأفضل من الأرض وبتوجيه الإدارة"(١٠).

وبالتالى كانت الخطوة الأولى فى الدور الذى قام به اتحاد جنوب أفريقيا فى الاستيطان الصهيونى فى فلسطين، والذى جسّده الرجل السياسى الثانى فيه وهو الجنرال سمتس، هو المساهمة فى إصدار تصريح بلفور Balfour Declaration عام١٩١٧، الذي ألزم بريطانيا بتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين(١١)، واستخدم نفوذه في الوزارة البريطانية لدعم المشروع الصهيوني، وذلك من منطلق رؤيته للمصالح البريطانية فى فلسطين(١٢). "لقد أكد بثبات أن الأمن الاستراتيجى للخط البريطانى الرئيسى للمواصلات الإمبراطورية عبر قناة السويس سيكون أفضل إذا كان هناك وطن يهودى مدعوم من بريطانيا مجاور له .... وعندما تم صياغة وعد بلفور، كان اعتباره الفورى هو "إيجاد صيغة توافق عليها القوى العظمى"، لإسناد ادعاء بريطانيا إلى الدور الرئيسى لمستقبل فلسطين ما بعد الحرب بالتعاون مع اليهود"(١٣).

كان هناك قلق خشية أن يسبق الألمان الحلفاء بكسب دعم الحركة الصهيونية العالمية بوعود من قبيل حماية تركية-ألمانية على فلسطين اليهودية؛ وبالتالى كان سمتس مؤمن بشكل ثابت بالقيمة الإستراتيجية الأساسية لفلسطين اليهودية، كما كان واحداً من أولئك المدافعين عن وعد بلفور فى مجلس الحرب البريطانى(١٤). ويرى الباحث أن بريطانيا لم تكن فى حاجة آنذاك إلى إقناع من سمتس أو غيره لدعم هذه المخططات الصهيونية؛ لأن دعمها كانت تخطيطًا بريطانيًا طويل الأمد سعت إليه بريطانيا، لا سيما حينما اتضحت أهمية اليهود بالنسبة لبريطانيا على وجه الخصوص فى مناح كثيرة.

وعلى الرغم من أن سمتس أسهم فى صياغة هذا التصريح والاعتراف بذلك من قبل أهم الساسة وأبرزهم آنذاك، فإن مساهماته لم تلق حظاً من الرواج بنفس القدر الذى لاقتها مساهمات بلفور وميلنر ولويد جورج وغيرهم، وبرغم أن أوراق سمتس ووايزمان لم تظهر هذا الدور بصورة واضحة، فإننا نجد من خلال كلام ابنه أنه لعب دوراً مهماً فى خلفيات أو كواليس هذا التصريح ومقدماته(١٥).

وداخل الهيئات التى كانت تصيغ السياسات البريطانية، مثل مجلس الحرب، كان سمتس مدافعاً قوياً لتوجيه الحماية البريطانية على فلسطين. حيث أشار إلى أنه "يجب أن نضمن قيادة فلسطين". فأية قوة أخرى ستكون خطر جداً على المواصلات الإمبراطورية. استراتيجياً، كان سمتس مقتنع بأهمية الهجوم العسكرى القوى فى فلسطين. فى رأيه، كانت تلك البلاد فرصة عظيمة للنصر. أى هجوم قوى هناك سيكون التهديد الأكبر الذى قد تواجهه تركيا منذ حملة جاليبولى Gallipoli Campaign، وسيعطى جبهة فلسطين أهمية كبيرة بعد الجبهة الغربية(١٦).

ويكمن الدافع الرئيسى فى دعم سمتس للحركة الصهيونية أن الغالبية العظمى من أعضاء حزب جنوب أفريقيا (وهو حزب سمتس) من ملاك المناجم والصنّاع وأصحاب البنوك، وهى قطاعات كان لليهود وجود بارز فيها. فضلاً عن كون جنوب أفريقيا معقلاً هاماً من معاقل اليهود، ولما لا وقد كان نفوذهم السياسى والاقتصادى من الدعائم المهمة التى قامت عليها زعامة سمتس وحياته السياسية(١٧).

وقد تزامنت الأعوام الأولى لتعزيز القوة الصهيونية فى فلسطين بمساعدة نشطة لنظام انتدابى بريطانى مفروض، مع الوزارة الأولى للجنرال سمتس فى اتحاد جنوب أفريقيا(١٩١٩-١٩٢٤)؛ حيث انتهج سياسات معادية للأفريقيين بلغت أوجها فى مذبحتى بورت اليزابيث Port Elizabeth وبولهوك (١٩٢١)، وقانون شئون السكان الوطنيين الذى

استثنى الأفريقيين من الحياة البرلمانية وعزلهم عن الحياة السياسية فى الاتحاد، وبالتالى ربما كان سمتس في حاجة لدعم الأقلية اليهودية في جنوب أفريقيا(١٨).

وفى الوقت ذاته جدّ فى طلب مساعدة الجالية اليهودية الجنوب أفريقية، فيما قدم دعماً كبيراً للمنظمة الصهيونية العالمية. وتكلم سمتس فى جوهانسبرج فى نوفمبر عام ١٩١٩، فأوضح رأيه فى الرابطة المشتركة بين ثقافة البوير فى جنوب أفريقيا والتقليد اليهودى حسب تفسيره. فقال فى خطاب موجه إلى مجلس النواب اليهودى والاتحاد الصهيونى لجنوب أفريقيا: "لا حاجة بى إلى تذكيركم بأن الشعب الأبيض لجنوب أفريقيا، وبخاصة السكان الهولنديين الأكبر سنًا، ترعرعوا بصورة تامة تقريباً على التقاليد اليهودية"، وأضاف "إننا نقف معاً على منصة مشتركة، أعظم منصة روحية عرفها العالم. على تلك المنصة أريد أن نبنى مستقبل جنوب أفريقيا"(١٩).

وهكذا لأكثر من ثلاثة عقود أيدت جنوب أفريقيا ممثلة فى الجنرال سمتس القضية الصهيونية، سواء كان فى الحكم أو خارجه، مستخدماً النفوذ الكبير الذى مارسه فى أروقة السلطة البريطانية ليعزز هدفها. وكان بوسع وايزمان أن يعتمد دوماً على استجابة سريعة وفعالة لنداءات المساعدة الملحة، واشتملت هذه أولاً وقبل أى شئ آخر على وعد بلفور وما تبعه؛ إذ قام في عام ١٩٢٠ بمحاولة مشتركة بالتعاون مع ويزامان لمد الحدود الشمالية والشرقية لانتداب فلسطين، بهدف توسيع إمكانات الاستيطان اليهودي إلي نهر الليطاني في لبنان ووراء نهر الأردن(٢٠). ودافع سمتس بحماس عن السياسة الصهيونية للهجرة واسعة النطاق، والتي جري تنفيذها في فلسطين مع تجاهل كامل لسكان البلاد الأصليين، ولطاقة البلاد علي الاستيعاب، فضلا عن دعوته المستمرة لجمع الأموال لتنفيذ المشروع الصهيوني(٢١).

وهكذا لعب اتحاد جنوب أفريقيا من خلال الجنرال سمتس دوراً كبيراً فى إصدار وعد بلفور، الذى أسس لإنشاء الوطن اليهودى القومى فى فلسطين. وقد اعترف قادة إسرائيل بعد ذلك بأهمية التأييد الصادر عن اتحاد جنوب أفريقيا فى عام ١٩١٧.

وقد قدم سمتس دعمًا سياسيًا مهمًا أثناء انتفاضات الفلاحين الفلسطينيين ضد التهديد الصهيوني، مثل ثورة يافا عام ١٩٢١، والهجوم المنسق علي المستوطنات الصهيونية في القدس والخليل وصفد عام ١٩٢٩، والثورة الوطنية عام ١٩٣٦، وكان تدخله فى أعلى المستويات، من خلال وجوده في الحكومة البريطانية، لتقويض القضية العربية الفلسطينية ومحاولاته الناجحة لإحباط بدء وتنفيذ سياسة انتداب منصفة والحيلولة دون اتجاه السياسة البريطانية إلي إحداث توازن بين العرب واليهود، كانت حاسمة فى المحافظة على المكاسب الصهيونية، وخاصة في مجال الهجرة والحصول علي الأراضى. كما حاول ويزامان وسمتس إبراز القومية العربية كخطر يهدد المصالح الإمبريالية[٢٢].

## ثانيًا- جهود الاتحاد فى الفترة (١٩٢٤-١٩٣٩):

لم تترك حكومة اتحاد جنوب أفريقيا فرصة مواتية إلا واستغلتها في دعم وتأييد قضية الاستيطان الصهيونى فى فلسطين؛ إذ لم تتأثر هذه المسألة بخروج سمتس من الوزارة. ففي الرابع من سبتمبر عام ١٩٢٦ صدر عن حكومة جنوب أفريقيا التصريح التالي "إن حكومة جنوب أفريقيا، التي تتابع باهتمام وتعاطف جهود المنظمة الصهيونية في سبيل تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، تتمني لها النجاح التام في مشروعها وتؤكد أنها ستساندها بكل قوة بواسطة مندوبيها في عصبة الأمم أو بأية وسيلة أخرى"[٢٣].

وعندما أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض في أكتوبر عام ١٩٣٠، والذى أعلنت فيه ضرورة وقف الهجرة اليهودية وشراء اليهود للأراضى الزراعية، نظراً للاضطرابات التى نشبت فى فلسطين، تدخل سمتس لدي الحكومة البريطانية بوصفه أحد المسئولين عن وعد بلفور للعدول عن موقفها، حيث عبر عن شعوره بالقلق العميق بسبب الوضع في فلسطين، والذي اعتبره تراجع عن الإعلان الذي يمثل وعداً قاطعًا ونهائيًا للعالم اليهودي بـ"وطن قومي لهم"(٢٤).

وفى سنة ١٩٣٤ كوّن يهود اتحاد جنوب أفريقيا هيئة أو شركة استثمارات أفريقيا-إسرائيل Africa-Israel Investments لشراء الأرض فى فلسطين. وقد امتلكت تلك الشركة أو الهيئة (استثمارات أفريقيا-إسرائيل) المملوكة لبنك لومى الإسرائيلى Israel's Bank Leumi عقارات سكنية وصناعية ممتازة. وقد ظل الجنوب أفريقيون كأقلية حملة أسهم أو مساهمون وبيعت سندات الشركة فى جنوب أفريقيا. كان لدى بنك لومى "الإسرائيلى" نفسه حوالى ١٠٠٠ مستفيد (حملة أسهم) stockholders من جنوب أفريقيا(٢٥).

وفى أواخر عام ١٩٣٩، اعتراضا على التحول المؤيد للعرب فى السياسة البريطانية، شدد سمتس على توجيه السيطرة البريطانية على فلسطين لضمان كسب يهود العالم، خصوصاً فى الولايات المتحدة. فقد أبرق إلى وزير المستعمرات البريطانى مالكولم ماكدونالد Malcolm MacDonald، قائلاً:

"فى حالة الحرب فى سنة ١٩١٧ تم إصدار وعد بلفور لضمان دعم يهود العالم لقضية الحلفاء. هل مثل هذا الدعم سيكون أقل أهمية فى الأزمة القادمة؟ ... هل هذا وقت إظهار الحكومة البريطانية العبث بوعد بلفور؟ ... متى جذبت مشكلة اللاجئين عطفاً عالمياً واسعاً؟".

استمر سمتس فى تذكير ماكدونالد أنه فى عام ١٩١٧ طُلب إلى الولايات المتحدة الموافقة على وعد بلفور. وتساءل، هل موافقتها ضُمنت بنفس الطريقة للسياسة الحالية؟ مشدداً على أن "دعم يهود الولايات المتحدة للقضية البريطانية كان اعتبارا مهما جدا"(٢٦).

وبرغم الموقف البريطانى الداعم لليهود منذ تصريح بلفور، فمع نهاية عام ١٩٣٩، ونتيجة للوضع المتخاذل من جانب بريطانيا فيما يتعلق بدعمها مطالب اليهود من وجهة نظر سمتس، نجده قد اتجه نحو الولايات المتحدة الأمريكية، وطالبها بضرورة الوقوف بجانب اليهود ومطالبهم فى فلسطين(٢٧).

مما سبق يتضح أن سمتس كان انتهازيًا ومدركًا لتطور السياسة الدولية واختلاف موازين القوى الدولية، فعندما أدرك أن مركز القوة وراء المشروع الصهيونى سينتقل من لندن إلى نيويورك، آثر أن ينضم إلى الأقوى الذى سيجد لديه مبتغاه ويستطيع من خلاله الوصول إلى مآربه وتحقيق مطالبه المتعلقة باليهود فى فلسطين. كما أن الحركة الصهيونية نفسها ولت وجهها شطر الولايات المتحدة الأمريكية تنشد العون والدعم باعتبارها القوة البازغة والعالمية الجديدة(٢٨).

## ثالثًا- تدفق رؤوس أموال يهود الاتحاد إلى فلسطين:

على الصعيد الاقتصادى والمالى، كان للعلاقة المالية الوثيقة بين يهود جنوب أفريقيا والمشروع الصهيونى فى فلسطين على مر السنين، فائدتها فى إبراز الدور الخاص الذى لعبته رؤوس الأموال المتدفقة من جنوب أفريقيا فى مشروع إنشاء المستعمرات اليهودية. وقد استطاع سمتس عن طريق الاعتراف بهذه العلاقة وتشجيع استمرارها أن يربط مصيره السياسى بالطائفة اليهودية بطريقة تتفق تماما مع تأييده التقليدى لأقوى المصالح الرأسمالية فى البلاد.

لقد قدم يهود جنوب أفريقيا مساهمة مهمة لصندوق الاستيطان اليهودى فى فلسطين بلغت ١٠٠ ألف دولار فى السنة، أو بمعدل دولار للرأس من السكان سنويًا. ويعتبر هذا اكبر مبلغ بشكل متناسب عن أى مبلغ يأتى من اليهود الآخرين. بالإضافة إلى ذلك، تستقبل الجماعة اليهودية نداءات ثابتة وتقدم استجابات ثابتة لأغراض معينة فى فلسطين[٢٩].

لقد مولت الأموال اليهودية شركة جنوب أفريقيا للمشروعات الفلسطينية (بينيان) South African Palestine Enterprise (Binyan)، التى لم تكن مجرد وسيلة لتأييد جنوب أفريقيا للجهود الصهيونية فحسب، وإنما كانت عملاً تجاريًا مضمونًا أيضا. وعلى حد قول برنارد الكسندر Bernard Alexander، أحد زعماء الصهيونيين فى جنوب أفريقيا، كانت الصهيونية فى نشاطها المعبر عنه بلغة المساعدة العملية هى أبرز خصائص الطائفة اليهودية فى جنوب أفريقيا، رغم أن الوضع المادى المزدهر لها كان ييسر لهم إطلاق العنان لهذه النزعة[٣٠].

وقد أشار الكسندر إلى أن "النشاط العملى" لصهيونىّ جنوب أفريقيا قد دخل مجالاً جديداً ذا أهمية حيوية. ففى خلال ١٥-٢٠ عاماً السابقة لقيام الدولة، بدأت شبه هجرة صهيونية من جنوب أفريقيا. وعلى الرغم من أن عدد مواطنى جنوب أفريقيا السابقين فى فلسطين كان ضئيلاً فى سنة ١٩٤٧، إلا أنه كان ملموساً كما كان آخذاً فى الازدياد بصورة مضطردة رغم كل العقبات التى كانوا يلاقونها فى دخول فلسطين. وكانت المستعمرات فى كافة أنحاء فلسطين تضم روادًا من جنوب أفريقيا، فكان يوجد جنود سابقون فى أقصى الشمال، وشبان فى منظمة الحارس الفتى فى النقب Negev، وقادة شباب سابقون فى الحولة Huleh. وكان مهاجرو جنوب أفريقيا منتشرين هنا وهناك يديرون مزارع خاصة، وفى المدن كان هناك عدد كبير من رجال الأعمال ومن المهنيين، كما كانت هناك نساء يزاولن الأعمال التجارية والمهنية أيضا، وكان الجميع يقومون بعمل رائد ويدعمون فى الوقت نفسه الرابطة بين جنوب أفريقيا و"أرض إسرائيل" Eretz Israel. وفى نفس الوقت كانت شركات جنوب أفريقيا العديدة والنشيطة تمارس "صهيونية عملية"، وذلك بإقامة وصيانة مشروعات إنتاجية أعدت لدعم التنمية الاقتصادية فى فلسطين ولتوسيع مجال الاستيطان والاستيعاب(٣١).

أما بالنسبة للأفراد فى جنوب أفريقيا ممن كانوا يستثمرون أموالهم فى فلسطين، فقد كان عددهم كبيراً على حد قول الكسندر. وقد تجلى الدور الهام الذى لعبه الصهيونيون من أبناء جنوب أفريقيا، بصورة فردية أو جماعية، فى بناء فلسطين فى العدد الكبير من "المؤسسات" التى خلدت أسماء شخصيات من جنوب أفريقيا أو التى عُرف أنها تدين بوجودها، كليًا أو جزئيًا، لأعمال خيرية مصدرها جنوب أفريقيا. وقد كانت القائمة طويلة ومؤثرة. ومع ذلك، فقد بقيت حقيقة تتمثل فى أن العمل الأساسى من أجل فلسطين بين طائفة تضم نيفًا ومائة ألف نسمة يعيشون على بعد آلاف الأميال من "أرض إسرائيل" سيستمر ليأخذ شكل مساعدات مالية لأعمال بناء الوطن القومى. والواقع أن نمو مزيد من الصلات الشخصية

والمباشرة مع فلسطين قد صاحبه دعم متزايد على الدوام لمثل هذه المشروعات[٣٢].

وقد أكد الكسندر أن النتائج كانت مؤثرة للغاية خلال سنوات الحرب وما بعدها، بصفة خاصة، من حيث حجمها ومداها على السواء، وأنها لم تشمل مجالات الإنشاءات اليهودية الأساسية فحسب، وإنما شملت موضوعات ثقافية وأعمال إنقاذ وموضوعات خيرية ذات طبيعة متباينة. إلا أن صهيونيّ جنوب أفريقيا قد كانوا قد توصلوا فيما مضى إلى نتيجة مؤداها أن الأساليب "العادية" غير كافية بصورة لا أمل فيها وأنه لكى ينجح الشعب اليهودى فى الفوز بالأرض، وفى الوقت المناسب، ينبغى أن تتوافر له موارد سائلة أضخم حجمًا. ومعنى هذا فيما يتعلق بيهود جنوب أفريقيا القيام بحملات خاصة، علاوة على الوسائل العادية لجمع الأموال.

والواقع أن إخلاص يهود جنوب أفريقيا للصهيونية، الذى ظهر من خلال الارتباطات المالية المتزايدة، هو الذى أكد بصورة لا ريب فيها استمرار الصداقة بين سمتس ووايزمان، كما أنه خدم الاثنين بصورة ملائمة تماما[٣٣].

## رابعًا- مساندة فكرة التقسيم فى الأمم المتحدة:

إبان الحرب العالمية الثانية وفى أعقابها مباشرة، وهى فترة ذات عواقب مشئومة لفلسطين، قدم اتحاد جنوب أفريقيا، جهوداً كبيرة لتأييد الدبلوماسية الصهيونية في مقاومة التأثير العربي في الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة في مؤتمر سان فرانسيسكو، وفي معارضة بعض التوصيات التي تقدمت بها لجنة التحقيق الأنجلو-أمريكية حول فلسطين. كما أنه وضع موارد الوفد الجنوب أفريقى إلى الأمم المتحدة تحت تصرف الدبلوماسية الصهيونية[٣٤].

ففى أبريل سنة ١٩٤٦، أوصت لجنة مشكّلة من قبل الحكومتين البريطانية والأمريكية بالسماح للمهاجرين اليهود بالدخول إلى فلسطين، وإلغاء القيود التى فرضتها حكومة فلسطين منذ عام ١٩٣٩، على شراء اليهود للأراضى. لكن توصيات اللجنة لم تلق قبول الحكومة البريطانية، فتصاعد الصراع فى فلسطين. ومع تصاعد المقاومة اليهودية، كان على بريطانيا أن تزيد من تواجدها العسكرى فى فلسطين. ووجدت الحكومة البريطانية، التى خرجت من الحرب العالمية الثانية منهكة مادياً واقتصادياً فى انتظارها مهمة إعادة البناء بعد قتال عنيف فى ظل موارد متناقصة وإمبراطورية إلى زوال، وجدت نفسها متورطة فى صراع عسكرى كبير على أرض فلسطين، صراع يفرض عليها الاحتفاظ بحوالى ١٠٠ ألف من قواتها هناك، فقررت أن تعيد الانتداب إلى المجتمع الدولى. وفى ١٨ فبراير ١٩٤٧، أعلن وزير الخارجية البريطانى أمام مجلس العموم قرار بريطانيا بإحالة المسألة برمتها إلى الأمم المتحدة[٣٥].

وبعد قرار بريطانيا بعرض موضوع فلسطين في الأمم المتحدة، لم تكن اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة والمؤلفة من إحدى عشرة دولة "محايدة"[٣٦] بالنسبة لموضوع فلسطين، لم تكن إلا عامل تشجيع للصهيونيين. وقد استمعت اللجنة فى يوليو ١٩٤٧ إلى شهادة "وايزمان"، الذي استشهد بما قرره "سمتس" عن معاناة اليهود باعتباره "أحد الباقين على قيد الحياة من الساسة الذين قاموا بصياغة وعد بلفور"، وضرورة إقرار التقسيم وإنشاء وطن يهودي[٣٧].

وبعد أن أصبحت الأمم المتحدة بؤرة النشاط استطاع رئيس وزراء الاتحاد، الجنرال سمتس، أن يقدم يد المساعدة لمساندة قرار التقسيم عن طريق وفد الاتحاد فى الأمم المتحدة. وفى خطاب لسمتس ألقاه أمام برلمان الاتحاد، وضح أهمية تقسيم فلسطين وحماية الشعب اليهودى من خطر الفلسطينيين، وأشار إلى أنه كان ينظر بارتياب إلى الكتاب الأبيض الصادر عام ١٩٣٩، وأن الحكومة البريطانية كانت مرتابة أيضا. وأنه كان

يعتقد أن الحكومة قد سحبته بشكل عملى، وأنه معلق بشكل مؤقت. وأن اليهود قد دُفعوا إلى اليأس، وهو ينظر إلى المجرمين منهم فى فلسطين نظرته إلى من استبد بهم اليأس والتهور فعلا. واستطرد قائلاً وإنى أرجو أن يتحقق للشعب اليهودى ذلك الحل بواسطة الأمم المتحدة[٣٨].

ولعل ما يدل على ما كان يعتمل فى نفس سمتس تجاه اليهود والصهيونية وفكرة الوطن القومى فى فلسطين، التقرير السرى السابع عشر للقنصلية الملكية المصرية العامة فى الكيب عن تصريحه بشأن القضية الفلسطينية. فقد تقدم أحد النواب اليهود فى البرلمان طالبًا أن تُمثل جنوب أفريقيا فى جلسة هيئة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين، وأن تقترح سحب الكتاب الأبيض الذى يحدد الهجرة لفلسطين للمعاونة على انتهاء "الحركات الإرهابية" وللوصول إلى حل موفق للمشكل. وقد أجاب المارشال سمتس أن تلك الجلسة ليس المقصود منها اتخاذ خطوات لحل المشكلة الفلسطينية، ولكن لكى تعين لجنة تكون مهمتها تقديم تقرير إلى الهيئة فى سبتمبر من ذلك العام (١٩٤٧) عن الحالة هناك[٣٩].

ويشير تقرير القنصلية إلى أنه ليس هو فقط بل معظم سكان اتحاد جنوب أفريقيا يحملون لليهود كل عطف، وأن ما حدث لهم هو أكبر مأساة عرفها التاريخ، ويجب إيجاد حل للمشكلة اليهودية – وقد عاش اليهود فى فلسطين ألفى عام على حد زعمه، وساهموا بقسط وافر فى سعادة البشر – وهو لا يفهم لماذا أن لا يمكن للعربى واليهودى التفاهم للحياة سويًا فى سلم من جديد – وأنه موقن بأن هيئة الأمم المتحدة ستجد الحل[٤٠].

ولما سأله أحد النواب عما إذا كانت الحكومة تعلم عن وجود حل مرض من هيئة الأمم المتحدة، أجاب "سنحصل عليه – لا تقنط – وعليك بالصبر". ولما سأله النائب الأول بأنه يجب أن يسمح للمهاجرين اليهود بدخول الاتحاد، قال إن هذا لن يكون حلاً للمشكلة اليهودية. لأن تدفق

اليهود بصورة لا تحتملها البلاد لن يؤدى إلا إلى خلق نزعة عداء للسامية، وأنه دائم الاعتقاد فى هذا الرأى، ولكن جنوب أفريقيا ستعمل جهدها للمساعدة فى التوصل إلى حل، يتمثل فى رأيه فى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين(٤١).

وفى الوقت الذى يطالب فيه المارشال سمتس بإنشاء وطن قومى لليهود فى بلاد لا تمت له بصلة، وليس له أن يقرر مصيرها، نجده يرفض قبول لاجئين يهود إلى بلاده باعتبار أن ذلك لا يحل المشكلة اليهودية، كما أنه يسبب نشوء روح عدائية لليهود. كما أنه يؤكد أن هيئة الأمم ستجد حلاً للمشكلة وأن هذا على حد رأيه بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وبإيجاد طريقة لإقناع العرب بالحياة فى سلم مجاورين لليهود؛ أى أن فكرة إنشاء دولة يهودية مختمرة فى أذهان وعقول هؤلاء القوم. فهل يعبر المارشال سمتس عما يعرفه قطعًا من الدوائر البريطانية وله فيها مركز ممتاز؟ أم أنه يقوم بدعاية انتخابية وهو قادم على معركة حامية الوطيس بدأ أمله فى كسبها يتضعضع، وهو يود أن يكسب اليهود إلى جانبه والاعتماد على قوتهم المادية، وأن الانتخابات الفرعية الأخيرة كانت كسبًا للحزب المعارض، وسيطرة اليهود على اقتصاديات البلاد تجعل الشعب يميل إلى التخلص من حكم سمتس وتجربة حكم مالان(٤٢) Malan؟.

وقد لخصت تلك المناقشة القصيرة فى البرلمان حقيقة مفادها أن الصهيونية ومعاداة السامية فى جنوب أفريقيا، كما فى بقية دول الغرب الليبرالية، تعتمد كل منهما على الأخرى بصورة متبادلة، وأن جنوب أفريقيا التى لا تفوقها أية دولة أخرى فى تأييدها للصهيونية من الناحية الفردية، يمكنها مع ذلك أن تستوعب سياسات العداء للسامية فتصبح بذلك أكثر وضوحًا. وهكذا، على حين كان سمتس يعترض على انتهاج أية سياسة عامة للهجرة اليهودية، كان يستطيع أيضا أن يهنئ اليهود فى

الاتحاد لقيامهم "بدور رئيسى فى إقامة أعظم مركز للسكان الأوروبيين فى الاتحاد"(٤٣).

وقد سدد اتحاد جنوب أفريقيا مساهمة هامة لقضية الاستيطان اليهودى فى فلسطين، فى وقت لم يستطع رئيس وزرائه التأثير على الحكومة البريطانية، وذلك عندما أكد سمتس الدعم الدبلوماسى فى الأمم المتحدة، وسهل تحويل الأموال والتجهيزات والإمدادات من يهود جنوب أفريقيا لليوشف Yishuv (سكان فلسطين من اليهود) المحاصرين. وآية ذلك أن أوراق سمتس احتوت على دليل توجيه سمتس الشخصى القوى لممثلى جنوب أفريقيا لدى الأمم المتحدة وفى مناقشات الكومنولث. فقد أبرق فى أبريل سنة ١٩٤٧، "موقفنا يجب أن يكون متعاطفاً مع المسألة اليهودية فى الصراع المحتمل مع الادعاءات العربية". وبالتالى كانت تعليماته المحافظة على مبدأ الوطن القومى اليهودى، وتقدير الموقف اليهودى المحزن فى أوروبا، ومساندة الهجرة اليهودية المتزايدة إلى فلسطين. وعندما قررت الحكومة البريطانية تقديم القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة، وطُرح طلب الوكالة اليهودية للتمثيل الرسمى للتصويت، كان وفد جنوب أفريقيا واحد من ثمانية وفود صوتت لصالحها. وبنفس الطريقة أيضا، كان اتحاد جنوب أفريقيا واحد من أغلبية ثلاثة وثلاثين بلداً فى الجمعية العامة للأمم المتحدة صوتت لصالح خطة التقسيم فى نوفمبر سنة ١٩٤٧(٤٤).

وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، أصبح تقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة عربية سياسة معلنة بعد مفاوضات سرية وإرهاب سياسى صريح، كان لوفد الاتحاد حظ وافر فيهما. وقد أكد رئيس وزراء الاتحاد الجنرال سمتس لأحد المسئولين بالوكالة اليهودية فى لندن: "لقد أصدرت تعليمات إلى وفدنا – وفد الاتحاد – بالأمم المتحدة أن يعمل على تأييدكم وأن يظل على اتصال وثيق بك شخصياً، ولتعلم أن وفدنا لديه تعليمات

بمواصلة تأييد التقسيم والإلحاح على عقد هدنة خاصة فى القدس إذا لم يكن عقد هدنة عامة"[٤٥].

كذلك أرسل سمتس خطاباً إلى وايزمان فى الخامس من ديسمبر عام ١٩٤٧، يطمئنه فيه على موقف الاتحاد من فكرة تقسيم فلسطين، وهو الموقف الموالى لوجهة النظر اليهودية، رداً على رسالة من الأخير إليه. فقد أشار سمتس فى رسالته إلى انفعاله برسالة وايزمان، وعن تقديره العميق لها، مذكراً إياه فى تواضع بالغ بخدمته الصغيرة للقضية الصهيونية ولكنها كانت بحماس وفى كل الأحوال. كما أشار إلى أنه قد ناقش مع كبار رجال الحكومة البريطانية الحاجة إلى نهاية مناسبة لهذه المسألة، تتمثل فى تقسيم فلسطين بين العرب واليهود تقسيماً ينحاز لصالح المستوطنين اليهود على حساب الحقوق العربية، وأنه يجب أن يكون إنهاءً منظماً ومناسباً لفصل عظيم من التاريخ. كما أنه إن لم تلتزم بريطانيا بالوفاء بما قطعته على نفسها، فلربما تعرضت الصداقة اليهودية البريطانية للخطر[٤٦].

وهكذا يتبين لنا الدور الذى قام به اتحاد جنوب أفريقيا فى تأييد فكرة التقسيم لفلسطين، تقسيماً يراعى مصالح اليهود على حساب الحقوق العربية، لتنسحب بريطانيا من فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ويُعلن قيام دولة الكيان الصهيونى رسمياً على أرض فلسطين.

## خامسًا- اتحاد جنوب أفريقيا والاعتراف بقيام دولة إسرائيل:

بعد انسحاب بريطانيا من فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وإعلان قيام دولة إسرائيل رسميًا، توالت الاعترافات بها من مختلف الدول إلا أن بريطانيا لزمت الصمت، بل مارست ضغطًا على المستعمرات البريطانية المستقلة لمنعها من الاعتراف بدولة إسرائيل، مما جعل وايزمان يرسل برقية إلى سمتس يحثه فيها على سرعة الاعتراف الفورى بإسرائيل، وتأييد حكومة الاتحاد لها كوطن قومى للشعب اليهودى. وقد رد سمتس عن طريق مفوضية جنوب أفريقيا فى واشنطن مرحبًا برسالة وايزمان وأعرب عن أمله فى نجاح إسرائيل، إلا أنه ذكر أن القرار الرسمى بالاعتراف "تعوقه اعتبارات تتعلق بموقف جديد ومشاورات ضرورية[٤٧].

وقد عاد وايزمان إلى الإلحاح على هذه المسألة فى رسالة شخصية وسرية، موضحًا الأسباب المحددة للحاجة الملحة إلى اعتراف جنوب أفريقيا بإسرائيل. فقد أشار إلى أن الاعتراف العاجل بقيام الدولة اليهودية لا يتوّج دعم اتحاد جنوب أفريقيا طويل المدى للأمة اليهودية فحسب، بل سيكون له تأثير أيضا على الوضع الراهن آنذاك على النحو التالى: **أولاً**، بتشجيع المستعمرات البريطانية المستقلة الأخرى (الدومنيون) على القيام بخطوة مماثلة. **ثانيًا**، بتدعيم الجهود المبذولة لحقن الدماء عن طريق مجلس الأمن. **ثالثًا**، بالمساعدة فى تنشيط العلاقات مع بريطانيا[٤٨].

وقد شكى وايزمان لسمتس موقف بريطانيا، باعتباره أحد دعاة الصداقة اليهودية البريطانية طوال حياته، وأبدى عميق حزنه وأسفه للدور البريطانى يومئذ الذى سمح بغزو "الفيلق العربى"[٤٩] بما فى ذلك الهجوم المدمر على القدس الذى استُخدمت فيه أموال وأسلحة بريطانية. أيضا استمرار إمداد الجيوش العربية الأخرى التى تعمل فى فلسطين

بالأسلحة، وكذلك المعارضة البارزة فى مجلس الأمن لإعاقة مبادرة وقف إطلاق النار الأمريكية. ثم طلب من سمتس التدخل لدى السلطات البريطانية لتلطيف الأجواء قائلاً "إن استخدام نفوذك غير الرسمى فى التخفيف من السياسة البريطانية غير الودية، وتشجيع قيام علاقات مرضية بين الدولة الجديدة والكومنولث، سيكون مساهمة بارزة"(٥٠).

ولعل انشغال سمتس بالحملة الانتخابية الثقيلة، قد يُفسِر لماذا جاء اعتراف الاتحاد متأخراً تسعة أيام. فربما فضّل سمتس الانتظار بضعة أيام إلى ما بعد الانتخابات العامة التى كان من المزمع إجراؤها فى السادس والعشرين من مايو ١٩٤٨، وذلك ليتجنب إثارة عداء الوطنيين البريطانيين. لكن فى ٢١ مايو سنة ١٩٤٨، كتب بيرنارد جيرينج Bernard Gering إلى سمتس يقول "أنه بينما يقدّر بشكل كامل المهمة الثقيلة والصعبة التى تواجهه محليًا، فمن واجبه أن يبلغه فحوى البرقية المستلمة من الوفد الصهيونى. وربما فُسر التأخير فى الاعتراف من قبل الدومنيون كإشارة إلى أنهم يتراجعون تحت التأثير البريطانى، خصوصاً أن تأخير الاتحاد كان يثير التعليق. وربما على اثَر هذا النداء الطارئ، كان على سمتس أن لا ينتظر أطول من ذلك، فما كان منه إلا أن أرسل برقية إلى موشيه شاريت(٥١) Moshe Sharett، وزير خارجية إسرائيل، جاء فيها "إن حكومة الاتحاد برئاسة الجنرال سمتس تعترف رسمياً بدولة إسرائيل الجديدة". وأخيراً تُوج العمل الذى بُدئ بوعد بلفور بتقديم اعتراف الأمر الواقع بدولة إسرائيل فى الرابع والعشرين من مايو عام ١٩٤٨(٥٢).

## الخاتمة:

بينت الدراسة أن اتحاد جنوب أفريقيا قد أسهم إسهاماً بالغًا فى الاستيطان اليهودى فى فلسطين، من خلال مساهمة قادته فى الضغط على بريطانيا لإصدار وعد بلفور، ثم التأييد والمساندة للسياسات والنشاطات الصهيونية فى فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية والحيلولة دون تنصل بريطانيا من الالتزامات التى قطعتها على نفسها بخصوص إنشاء الوطن القومى اليهودى، وما قدمه يهود الاتحاد من أموال ساهمت فى توسيع المستوطنات اليهودية، ثم الدور الحيوى الذى لعبه وفد الاتحاد فى الجمعية العامة للأمم المتحدة لمساندة قرار تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب، وهو التقسيم الذى انحاز إلى جانب اليهود على حساب الحقوق العربية. وأخيراً توجت هذه الجهود بالاعتراف بقيام دولة الكيان الصهيونى.

كذلك أظهرت الدراسة **دور الفرد** فى تفسير الأحداث التاريخية بصورة جلية، وآية ذلك العلاقة الحميمة التى جمعت بين سمتس ووايزمان؛ فكلاهما مثّل يد الإمبريالية الطاغية بقدراتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية الهائلة. فالأول كان سيف الإمبريالية المسلط على الأفارقة فى جنوب أفريقيا والآخر كان سيفها المسلط على العرب والفلسطينيين. وكلاهما نذر نفسه لأسطورة الشعب المختار، فذاك مع البوير فى جنوب أفريقيا وهذا لليهود فى فلسطين، وكلاهما نظر للمشروعين الاستيطانى واليهودى كمشروع حيوى للحضارة الغربية؛ الأول فى أفريقيا والثانى فى فلسطين. وليس من قبيل الصدفة أن ميلاد اتحاد جنوب أفريقيا وميلاد وعد بلفور كان نتيجة لجهود نفس الشخصيات.

وعلى المستوى الشخصى كان كلاهما يُسلّم بشرعية موقف الآخر من الناحية الأدبية، فلا توجد كلمة واحدة فى مراسلات وايزمان أو كتاباته تنطوى على تشكك فى الأساس العنصرى لدولة جنوب أفريقيا أو فى الدور الذى قام به سمتس لدعم نظامها العنصرى. وبالمثل كان سمتس يسلم "بحق" المستوطنين اليهود فى احتلال فلسطين دون اهتمام بحقوق العرب الفلسطينيين سكان البلاد الأصليين. وفى الحالتين أبرزا قدرة الحضارة الغربية على تبرير السيطرة والاستغلال بأنها رسالة حضارية مسيحية أو إنجاز يهودى مسيحى يؤمن بأنه أسمى من سائر الأجناس.

# هوامش البحث:

(١) **اتحاد جنوب أفريقيا**: هو الاسم الذى أُطلق على جمهورية جنوب أفريقيا الحالية فى الفترة (١٩١٠-١٩٦١)، بعد أن قامت بريطانيا بتوحيد الوحدات الأربعة، مستعمرتى الرأس وناتال البريطانيتين وجمهوريتى الترنسفال والأورانج الحرة البويريتين، التى كونت الاتحاد منذ عام ١٩١٠. وقد ظل الاتحاد عضوًا فى الكومنولث البريطانى منذ ذلك الحين حتى خروجه منه فى ٣١ مايو عام ١٩٦١، ليتحول الاسم إلى جمهورية جنوب أفريقيا. لمزيد من التفاصيل حول البناء السياسى لجنوب أفريقيا قبل الاتحاد، **انظر**: بدوى رياض عبد السميع: الأرض والعنصرية فى اتحاد جنوب أفريقيا (١٩١٠-١٩٦١)، سلسلة بحوث افريقية، العدد ٤، مركز تاريخ مصر المعاصر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤، ص ص ٢٧-٣٠.

(٢) **الجنرال جان كريستيان سمتس J. C. Smuts:** وُلد فى ٢٤ مايو عام ١٨٧٠ فى ضاحية غرب الكيب، فى ظل أسرة ثرية. وتلقى منذ صغره تعليمًا جيدًا، ودرس القانون فى جامعة كمبردج وحصل على ليسانس الحقوق عام ١٨٩٢. عمل بالمحاماة فى مستعمرة الرأس، وشغل منصب نائب مقاطعة فى الجمعية التشريعية للمستعمرة. تولى سمتس وزارة الداخلية والدفاع والمناجم فى الحكومة الاتحادية الأولى بعد قيام اتحاد جنوب أفريقيا عام ١٩١٠، وعمل على التقريب بين الإنجليز والبوير. تولى أيضا رئاسة الوزراء للمرة الأولى فى الفترة (١٩١٩-١٩٢٤)، وسار على نهج سلفه في تطبيق سياسة التفرقة العنصرية وتطبيق سياسة المعازل. وفى الفترة (١٩٣٣-١٩٣٩) كان الرجل الثانى فى الحكومة بعد رئيس الوزراء، وتولى الوزارة مرة أخرى في عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٤٨، بالإضافة إلى كونه فيلد مارشال بريطانى British Field Marshal. اعتبره الجميع رجل دولة من الطراز الدولى، وأصبح معروفًا أولاً للجمهور البريطانى كجنرال بويرى قاوم الإمبراطورية البريطانية بجرأة فى ساحات المعركة فى جنوب أفريقيا. خدم سمتس فى وزارة الحرب البريطانية وأصبح واحدًا من المصممين العظماء للكومنولث البريطانى. توفى فى ١١ سبتمبر عام ١٩٥٠ عن عمر يناهز الثمانين عامًا. **انظر:**

Shimoni, Gideon: Jan Christiaan Smuts and Zionism, Jewish Social Studies, Vol. 39, No. 4 (Autumn, 1977), P. 269.

(٣) Cooper, F. H.: Khaki Crusaders, with the South African Artillery in Egypt and Palestine, Central News Agency LTD, Cape Town, 1919, P. 12.

(٤) **اللورد ميلنر(١٨٥٤-١٩٢٥):** كان رجلاً صارمًا، وذا خبرة واسعة فى النواحى الإدارية، وخدم فى مصر لفترة، وكان ممن أُطلق عليهم لفظ "بناة الإمبراطورية". اعتبره البوير عميلاً لتشمبرلين ورودس، اللذين أرسلاه ليبحث لهما عن معركة تبرر فرض السيادة البريطانية. كان ميلنر إمبرياليا مؤمنًا بدور العنصر البريطانى فى العالم فى قيادة الحضارة الغربية وتمدين الشعوب المتخلفة، وتركز عمله فى دعم السيادة البريطانية بشكل صارم. وقد أحدث انقلابًا فى أساليب المعالجة البريطانية للخلاف القومى مع الأفريكانريين فى جنوب أفريقيا. لمزيد من التفاصيل، **انظر:** السيد فليفل: التاريخ السياسى والعنصرى لمستعمرة رأس الرجاء الصالح (١٨٥٣-١٩١٠)، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ١٩٩٨ ص١٩٤.

(٥) **ديفيد لويد جورج (١٨٦٣-١٩٤٥)**: صهيونى متحمس للصهيونية وأحد زعماء حزب الأحرار البريطانى، عمل وزيرًا للمالية فى الفترة (١٩٠٥-١٩١٥) ثم تولى رئاسة الحكومة فى عام ١٩١٦ أثناء الحرب العالمية الأولى. وقد استقال فى عام ١٩٢٢، ولم يشغل أى منصب رسمى بعد ذلك. **انظر**: ريجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية، ترجمة احمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٩٦، الكويت، ١٩٨٥، ص ١٠٩.

(٦) **اللورد بلفور(١٨٤٨-١٩٣٠)**: هو آرثر جيمس بلفور، سياسى ينتمى إلى حزب المحافظين البريطانى، تولى رئاسة الوزارة فى بريطانيا فى الفترة (١٩٠٢-١٩٠٥). عمل بلفور أيضا وزيرًا للخارجية فى الفترة (١٩١٦-١٩١٩) فى حكومة ديفيد لويد جورج، واشتهر اسمه عندما وقّع على تصريح أصدرته حكومة بريطانيا فى عام ١٩١٧، إلى رجل المال روتشيلد ينص على دعمها لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين. **انظر**:

نجلاء عبد الجواد: اليهود فى جنوب أفريقيا، دراسة فى الجذور والتكوين والدور، تقديم د. السيد فليفل، سلسلة الإصدارات الخاصة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١، ص ٢٧٨.

(٧) **حاييم وايزمان**: أشهر شخصية صهيونية بعد تيودور هرتزل، ولد فى روسيا عام ١٨٦٤، وكان يدرس الكيمياء فى جامعة مانشستر بانجلترا، واكتشف مادة الاسيتون الحارقة التى ساعدت الانجليز فى الحرب العالمية الأولى. وقد لعب الدور الأهم فى إصدار وعد بلفور عام ١٩١٧. كان رئيسًا للمنظمة الصهيونية العالمية منذ عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٤٦، ثم انتُخب أول رئيس لدولة إسرائيل عام ١٩٤٩. **انظر**: نادية صلاح عبد الشافى: العلاقات الغانية الإسرائيلية (١٩٥٧-١٩٦٦)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١٣، ص ٤٨.

(٨) نجلاء عبد الجواد: مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(٩) Stevens, Richard P.: Weizmann and Smuts, A study in Zionist-South African Cooperation, The Institute for Palestine Studies, Beirut, 1975, P. 11.

(١٠) مروان بحيرى: معانى التحالف بين إسرائيل وجنوب أفريقية، مجلة قضايا عربية، العدد ٧، السنة السادسة، نوفمبر ١٩٧٩، ص ٢٣١.

(١١) **الوطن القومى** Jewish National Home: هو مصطلح تواتر فى الكتابات الصهيونية والمعادية لليهود، ويعنى أن اليهود لا ينتمون إلى أوطانهم وإنما إلى وطن قومى واحد هو فلسطين، التى يُشار إليها أيضا باسم "أرض الميعاد" أو "الأرض المقدسة". كما يعنى المصطلح أن البلاد التى يقيم فيها اليهود إنما هى منفى أو مهجر. ويعنى المصطلح أيضا أن اليهود فى حالة شتات يشكلون دياسبورا Diaspora (أى شتات)، وهى حالة يشعرون بها منذ هدم الهيكل على يد القائد الرومانى تيتوس. وقد ورد المصطلح فى وعد بلفور، رغم احتجاجات قيادة الجماعة اليهودية فى انجلترا، واكتسب شرعية سياسية منذ ذلك التاريخ. لكن مصطلح الوطن القومى مصطلح ليست له مقدرة تفسيرية عالية، إذ أن كثيرًا من الوقائع التاريخية لا تسانده. ومن الثابت تاريخيًا أن عدد اليهود خارج فلسطين فاق عددهم داخلها قبل هدم الهيكل. كما أن من الثابت أن أكبر الهجرات فى تواريخ الجماعات اليهودية، والتى بدأت فى أواخر القرن التاسع عشر، اتجهت إلى الولايات المتحدة، ولو كانت فلسطين وطن قومى لليهود لاتجهوا إليها. وقد بلغت نسبتهم نحو ٨٠% من جملة المهاجرين اليهود، بل لم يعد يُشار فى الأدبيات الصهيونية إلى الولايات المتحدة باعتبارها منفى، وإنما باعتبارها وطنًا قوميًا آخر لليهود، وباعتبارها البلد الذهبى الذى يحقق تطلعات المهاجرين المادية.

لمزيد من التفاصيل، **انظر**: عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، المجلد السادس، الصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٠.

(١٢) يمكن أن ندرك خطورة وعد أو تصريح بلفور بإيجاد وطن قومى لليهود فى فلسطين إذا علمنا أن مشكلة انتقال أراضى فلسطين من يد العرب إلى غيرهم ترجع فى أساسها إلى أسباب سياسية نشأت عن ذلك الوعد المشئوم، وبموجب صك الانتداب الذى تلى هذا الوعد، والذى نصت المادة الثانية منه على ما يلى: "تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومى لليهود". وقد نُفذ ذلك فعلا، فقد كانت إجراءات الحكومة البريطانية تتجه دائمًا طوال مدة الانتداب إلى تحقيق هذه الغاية ومنها تسهيل اقتناء اليهود للأراضى التى يملكها العرب. وقد ساعد على ذلك إنشاء اليهود جماعات اقتصادية مختلفة استطاعت أن تجمع من طريق التبرع وغيره أموالاً طائلة لشراء الأراضى فى فلسطين بأثمان لا تتفق وقيمتها، بل حصل أن اشتروا أراضى بثلاثة أو أربعة أمثال ثمنها الحقيقى. وفى هذا إغراء كبير لضعاف العزيمة من العرب أو المدينين منهم أو غير المستوطنين منهم فلسطين، فانتهزوا هذه الفرصة الملائمة لبيع أراضيهم دون تبصر ونظر بعيد إلى المستقبل. لمزيد من التفاصيل، **انظر**: جامعة الدول العربية: المحاضر الختامية لجلسات دور الاجتماع العادى الثانى لمجلس الجامعة، ٣١ أكتوبر إلى ١٤ ديسمبر ١٩٤٥، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٢١١.

(١٣) Hunter, Jane: Israel Foreign policy, South Africa& Central America, Boston, 1987, P. 21.

(١٤) Shimoni, Gideon: Op. Cit., P. 276.

(١٥) أوضحت الأدلة التاريخية أن فلسطين عربية، وأن تصريح بلفور الذى زعم سمتس أنه رمز للعدل والحرية وإعادة الحقوق إلى أصحابها، يعتبر تصريحًا باطلاً وليس له سند قانونى أو سابقة دولية وصدر قبل أن يصبح لبريطانيا أية صفة رسمية اعتبارية فى فلسطين، ولم يأخذ فى اعتباره أيًا من معطيات الحق التاريخى للشعب الفلسطينى ولم يتحدث نتيجة لضعفه عن حقوق تاريخية لليهود فى فلسطين، ويخالف أحكام المادة( ٢٠ ) من ميثاق عصبة الأمم التى تقر بحق تقرير المصير، ويخالف ما نصت عليه اتفاقية سايكس بيكو ذاتها بشأن فلسطين، التى تؤكد عدم جواز التصرف المنفرد بشأنها، بما يمكن أن يخلق وقائع جديدة على الأرض، كما أنه تجاهل الأكثرية العربية التى كانت تشكّل آنذاك أكثر من ٩٢ % من مجموع السكان ويعتبرها أقلية ضمن الطوائف الأخرى. وعلى النقيض يعتبر اليهود الذين يشكلون أقل من ٨% الشعب المتمتع بالمزايا المختلفة هناك. كما أنه يعتبر بمثابة بذرة جنينية لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، ومنح بريطانيا صديقة الصهاينة واليهود مهمة تنفيذه، والأخطر من ذلك منح اليهود ولو ضمنياً حق إقصاء أبناء الشعب الفلسطينى لأن إنشاء الوطن القومى الخالص يتطلب إقصاء عناصر الطوائف الأخرى. **انظر**:

إبراهيم جلال: جان كرستيان سمتس والاستيطان الصهيونى فى فلسطين (١٩١٧-١٩٥٠)، مجلة بحوث الشرق الأوسط(مجلة علمية محكمة)، العدد ٣٢، الجزء الأول، مارس ٢٠١٣، ص ٩٨.

(١٦) Shimoni, Gideon: Op. Cit., P. 276.

(١٧) سعد رزيج ايدام: العلاقات بين إسرائيل وجمهورية جنوب أفريقيا (١٩٧٣-١٩٨٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩١، ص ٥.

(١٨) مروان بحيرى: العلاقة بين جنوب أفريقيا والصهيونية وإسرائيل، مجلة قضايا عربية، العدد ٣، بيروت، ١٩٨١، ص ٤٧، سعد رزيج ايدام: مرجع سابق، ص ٥.

(١٩) ريجينا الشريف: مرجع سابق، ص ١٧٠.

(٢٠) Stevens, Richard P.: Op. Cit., P. 34.

(٢١) مروان بحيرى: معانى التحالف بين إسرائيل وجنوب أفريقية، مرجع سابق، ص ٢٣٣.

(٢٢) سعد رزيج ايدام: مرجع سابق، ص ٦.

(٢٣) ريتشارد ب. ستيفنز& عبد الوهاب المسيرى: إسرائيل وجنوب أفريقيا، وزارة الإعلام، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة (رقم ٧٢٤)، القاهرة، (د.ت)، ص ١٢٤.

(٢٤) Stevens, Richard P.: Smuts and Weizmann, Journal of Palestine Studies, Vol. 3, No. 1, 1973, P. 41.

(٢٥) Hunter, Jane: Op., Cit., P. 22.

(٢٦) Shimoni, Gideon: Op. Cit., P. 277.

(٢٧) Ibid.

(٢٨) إبراهيم جلال: مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٢٩) Bentwich, Norman: Jewish Life in British South Africa, Jewish Social Studies, Vol. 4, No. 1, Jan., 1942, P. 73, P. 77.

(٣٠) Stevens, Richard P.: Op. Cit., P. 50.

(٣١) Ibid, P. 51.

(٣٢) عبد الوهاب المسيرى، ريتشارد ستيفنز: مرجع سابق، ص ٥٠.

(٣٣) Stevens, Richard P.: Op. Cit., P. 51.

(٣٤) مروان بحيرى: معانى التحالف بين إسرائيل وجنوب أفريقية، مرجع سابق، ص ٢٣٣.

(٣٥) حاييم هرزوج: الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢، ترجمة بدر الرفاعى، الطبعة الأولى، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٩.

(٣٦) الدول الأحد عشر المفترض أنها "محايدة" هى استراليا وكندا وتشيكوسلوفاكيا وجواتيمالا والهند وإيران وهولندا وبيرو والسويد وأورجواي ويوجوسلافيا. فقد كان ضمن هؤلاء المحايدين أنصار أوفياء للصهيونية مثل ممثل جواتيمالا، وممثل أورجواى.

(٣٧) محمد عبد الحليم الزرقا: التاريخ السياسى والعنصرى لجنوب أفريقيا منذ عام ١٩٤٨ حتى إعلان الجمهورية ١٩٦١، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٤١.

(٣٨) The speech of Smuts before the South Africans for the Partition of Palestine, Pretoria, December 5, 1947،

وثيقة منشورة فى: نجلاء عبد الجواد: اليهود فى جنوب أفريقيا، مرجع سابق، ص ٣١٦.

(٣٩) دار الوثائق القومية، وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف السرى الجديد، أرشيف البلدان، فيلم رقم (٥٤)، محافظ بريتوريا، محفظة رقم (٨٤)، ملف رقم (٤)، سرى، بشأن: التقرير السرى السابع عشر عن تصريح المارشال سمطس بشأن المسألة الفلسطينية، القنصلية الملكية المصرية العامة بمدينة الكاب، تحريرًا فى ٢٣ أبريل ١٩٤٧، ص ١.

(٤٠) نفس المصدر والصفحة.

(٤١) Stevens, Richard P.: Op. Cit., P. 50.

(٤٢) **دار الوثائق القومية**، وثائق وزارة الخارجية المصرية، **تصريح المارشال سمطس بشأن المسألة الفلسطينية**، مصدر سابق، ص ١.

**الدكتور مالان:** وُلد في إقليم الكيب في عام ١٨٧٤، وانتقل إلى هولندا حيث تلقى تعليمه الجامعى وحصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت. بعد عودته إلى جنوب أفريقيا انضم إلى الكنيسة الهولندية الإصلاحية وعمل محررًا صحفيًا لفترة من الزمن. تولى وزارة التعليم في أولى وزارات اتحاد جنوب أفريقيا، ونظرًا لفكره العنصرى المتطرف، رفض الانضمام إلى حكومة الحزب المتحد في عام ١٩٣٣، وأسس الحزب الوطنى المتطهر في عام ١٩٣٤، وأصبح زعيمًا للمعارضة في الاتحاد. وقد أيد مالان سياسة التفرقة العنصرية بكل قسوة وصرامة، وعمل على جعل جنوب أفريقيا مستعمرة للبيض؛ بالحفاظ على الوضع المميز للبيض، وبتجميد الأوضاع المتدنية للأفريقيين، لذا طبّق سياسة الفصل العنصرى في جنوب أفريقيا، مدنها ومعازلها. تولى رئاسة الوزراء فى الاتحاد فى عام ١٩٤٨. **انظر:**

آمال على خليفة: الحزب الوطنى المتطهر ودوره فى تعميق العنصرية (١٩٣٤-١٩٥٦)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٢، ص ١١٢.

(٤٣) Stevens, Richard P.: Op. Cit., P. 50.

(٤٤) Shimoni, Gideon: Op. Cit., P. 291.

ينبغى الإشارة إلى أن الأمم المتحدة، التى كانت ولا زالت خاضعة لسيطرة الغرب، قد وفرت الأساس الرسمى لقيام الدولة الصهيونية الاستيطانية دون الرجوع إلى رغبات الوطنيين أبناء البلاد، وذلك بالقرار الذى اتخذته فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين. وفيما عدا اتحاد جنوب أفريقيا، أيد مشروع التقسيم دولة افريقية واحدة ودولة آسيوية واحدة، وصدر القرار اعتمادًا على أصوات الدول الأوروبية ودول نصف الكرة الغربى.

انظر: ريتشارد ب. ستيفنز& عبد الوهاب المسيرى: مرجع سابق، ص ٢٢.

(٤٥) Stevens, Richard P.: Op. Cit., P. 52.، نجلاء عبد الجواد، مرجع سابق، ص ٢٤١.

(٤٦) J. C. Smuts Papers, Letters Exchanged between Smuts and Weizmann, Letter from Smuts to Weizmann, 5th December, 1947.

وثيقة منشورة فى: نجلاء عبد الجواد: اليهود فى جنوب أفريقيا، ص ٣١١.

(٤٧) Stevens, Richard P.: Op. Cit., P. 54.

(٤٨) J. C. Smuts Papers, Letters Exchanged between Smuts and Weizmann, Letter from Weizmann to Smuts, "Personal and Confidential, May 21, 1948.

وثيقة منشورة فى: نجلاء عبد الجواد: اليهود فى جنوب أفريقيا، ص ٣١١.

(٤٩) كان الفيلق العربى هو أفضل الجيوش العربية تدريبًا وأكثرها فاعلية، وكان يتولى قيادته الليفتنانت الجنرال "سير جون جلوب" Sir John Bagot Glubb المعروف بجلوب باشا، أحد محاربى الحرب العالمية الأولى. وقد استطاع جلوب مع مجموعة من الضباط البريطانيين أن يحوله من مجرد قوات للحدود إلى جيش حديث. كان الفيلق العربى يضم، على حد زعم حاييم هرتزوج، أكثر من ١٠ آلاف رجل منظمين فى ثلاثة ألوية وعدد من كتائب الدبابات وعناصر المدفعية. لمزيد من التفاصيل، انظر: حاييم هرزوج: مرجع سابق، ص ٢٠.

(٥٠) Letter from Weizmann to Smuts, "Per1sonal and Confidential, May 21, 1948.

وثيقة منشورة فى: نجلاء عبد الجواد: اليهود فى جنوب أفريقيا، ص ٣١١.

(٥١) **موشيه شاريت** (١٨٩٤-١٩٦٥): ولد فى خرسون Kherson (أوكرانيا حاليًا) بالإمبراطورية الروسية، وفى عام ١٩١٠ هاجرت أسرته إلى يافا فى فلسطين التى كانت تحت الحكم العثمانى. وتعتبر عائلة شاريت من الأسر التى أسست للوجود الصهيونى فى فلسطين. تخرج فى مدرسة هرتزل العبرية العليا، وانتقل إلى اسطنبول لدراسة القانون، لكنه لم يكمل دراسته بسبب تجنيده فى الجيش التركى كمترجم. **انظر**: نجلاء عبد الجواد، مرجع سابق، ص ٢٨٠.

(٥٢) Shimoni, Gideon: Op. Cit., PP. 291-292.، نجلاء عبد الجواد، مرجع سابق، ص ٢٤١.